

# نصيحة إلى الأمة



سَمَاحَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ  
أحمد بن محمد بن خالد  
المفتي العام لسلطنة عُمان



الإسلام الطيب

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، والصلاة والسلام على نبيه الذي بصرنا بالهدى ودعانا إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فمنذ استولت السلطات الأموية على زمام أمر هذه الأمة وانتهت حقبة الخلافة الراشدة التي كانت امتدادا للنبوة الهادية؛ رزئت هذه الأمة بتوالي نوب الضلالات عليها، فكم أشيع فيما بينها من باطل وأصبح أدعياء العلم هم الذين يروجون له طمعا فيما يرفدهم به أولئك المتسلطون، مما يتساقط من أيديهم من فتات موائدهم، وهم يؤثرون هذه اللعاعة الفانية على ما أعده الله تعالى في جنات النعيم من خزائن رفده التي تفوق كل وصف، ولا تنتهي إلى أمد، بل هم خالدون فيها وهي خالدة لهم.

ناهيك أن كراهة العدل لم تكن قاصرة على الطغاة وحدهم، بل حتى أولئك المحسوبون على العلم كانوا يكرهون العدل ويؤثرون عليه الجور ويسوغونه بالقول الزور الذي ما أنزل الله به من سلطان، فعندما قام قائم الحق على يدي عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بعد حقبة من حكم الاستبداد والظلم الذي رسخه بنو أمية حتى تقبله الناس وصار جزءاً من حياتهم، ساء ما قام به عمر رضي الله عنه - من ردّ الحق إلى نصابه وإنصاف المظلومين والانتصاف من الظالمين - أولئك الذين لبسوا حلية العلم زوراً وبهتاناً، فضاقت صدورهم من العدل وحنوا إلى الجور، ولذلك عندما خلفه يزيد بن عبدالملك وراقت له سيرة عمر فعزم على أن يسيرها ساء هؤلاء ذلك ولم يزالوا به حتى حرقوه عن الحق وزينوا له الظلم، وهذا مما حفظه لنا التأريخ وشهدت به دواوين العلم وسجله الرواة بأسانيدهم، كما في قول ابن عساكر: «أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالملك، أنا أبو طاهر ابن محمود، أنا أبو بكر ابن المقرئ، نا أبو العباس ابن قتيبة، ثنا حرملة، أنبأ ابن وهب، نا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال: لما توفي عمر بن عبدالعزيز، وولي يزيد بن عبدالملك، قال: سيروا بسيرة

عمر، قال: فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له ما على الخلفاء حساب ولا عذاب»<sup>(١)</sup>.

وقد أشيعت هذه العقيدة الباطلة في عهد بني أمية في أوساط الناس، فكان عليها السواد الأعظم منهم، وقد نص على ذلك ابن تيمية - مع تعصبه المقيت، لهم واستماتته في الدفاع عنهم وتسويغ ضلالهم - كما في قوله: «وأیضا، فكثير من أتباع بني أمية أو أكثرهم، كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام بل تجب عليهم طاعة الإمام، في كل شيء، والله أمرهم بذلك، وكلامهم في ذلك معروف كثير، وقد أراد يزيد بن عبدالملك أن يسير بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فجاء إليه جماعة من شيوخهم، فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو، أنه إذا ولى

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٦٥، ص ٣٠٤، وينظر: مختصر تاريخ دمشق ج ٨، ص ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ج ٥، ص ١٥١، تاريخ الإسلام ج ٧، ص ٢٨٠، مرآة الجنان ج ١، ص ٢٢٤، البداية والنهاية ج ٩، ص ٢٣٢، تاريخ الخلفاء ص ٢٤٦، شذرات الذهب ج ١، ص ١٢٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٥٤، وج ٢، ص ٤١٩، المنتقى من منهاج الاعتدال، ج ١، ص ٤١١.

الله على الناس إماما، تقبل الله منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات»<sup>(١)</sup>.

ولعمر الحق، إن هذا الفكر هو أعظم خطرٍ رزئ به الإسلام ونكبت به الأمة، فقد كان أعمل المعاول في دك صرحه وأحد الحراب في قطع أوصاله وتمزيق أديمه، وما أشبهه بما ذكره الله تعالى عن بني إسرائيل، في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وما أبعده من فكر عن عقيدة الإيمان التي جاء بها القرآن، فإن الله تعالى يخاطب نبيا استخلفه في الأرض بقوله: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، بل نجد في القرآن الكريم خطاب الله للنبي ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين، وفضله على الخلق أجمعين، بما يتوعده أشد الوعيد أن لو خرج قيد شعرة عن حد صراطه المستقيم،

(١) منهاج السنة، ج ٦، ص ٤٣٠.

فقد قال له تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٦) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥]، وقال فيه: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وفي قضية أسارى بدر، شدد الله تعالى في خطابه للنبي والمؤمنين، في قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ [الأنفال: ٦٧ - ٦٨].

وقال له تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، فإذا كان النبي ﷺ، مع عظم قدره وقربه من الله تعالى، يخشى من المعصية أن ينقلب إلى العذاب العظيم، فكيف بالظلمة المجرمين، الذين يعيشون في الأرض فسادا ويعبثون بحقوق الأمة، ويغدون ويروحون وهم لا تهمهم إلا شهواتهم وما يرزؤون به الأمة من استعبادها ونهب خيراتها، بأي حجة، وأي برهان، يقال بأنهم في مأمن من الحساب والعقاب؟؟!!

وإذا كان الله تعالى يتوعد بمس النار، على الركون إلى أهل الظلم، فكيف بممارسة الظلم؟! فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وقد ملئت السنة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بالوعيد الشديد لمن ولي من أمر الناس شيئاً فلم يتق الله فيهم، ولمن شايع الظالمين وأعانهم وصدقهم، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»<sup>(١)</sup>، وقال: «ما من عبد يسترعيه الله، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته؛ إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(٢)</sup>، وقال: «ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة؛ إلا حرم الله عليه الجنة»<sup>(٣)</sup>.

فترى كيف وصل الأمر إلى أن أصبح المتسلطون هم الذين يطاع أمرهم ولا يلتفت إلى القرآن ولا إلى السنة النبوية، وطبقت في هذه الأمة سيرة الأكاسرة والقيصرة ومن قبلهم الفراعنة، فهكذا كانت طاعة الناس لأولي

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٦٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ٦٧٣١)، ومسلم (رقم: ١٤٢).

(٣) أخرجه ابن عساکر (٣٧٥/٤٥).

السلطة كما كانت طاعة حاشية أولئك وأتباعهم من قبل، بل تقربوا إليهم بمساندتهم على ظلمهم وتزيينه للناس وتكريه العدل والإنصاف إليهم.

وعزّزوا ذلك بعقيدة الإرجاء التي رسخت في هذه الأمة كما رسخت في اليهود من قبلهم، كما حكاها الله تعالى عنهم في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ﴾ [٢٤] فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ [آل عمران: ٢٣ - ٢٥]، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَذَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وترى أن هذا الفكر العفن الذي لُزَّ بالإسلام لزا، وألبس ثوب الحق، ووصم ما سواه بالباطل، كان هو المعتمد في سياسة هذه الأمة، وصيغ بحسبه الفقه السياسي، فإن جميع الكتب التي أُلِّفت في السياسة

الشرعية من قبل أصحاب هذه المدرسة، كانت تعتمد على هذا الفكر شكلا ومضمونا، ناهيك بهذا التناقض العجيب - الذي تأباه الفطر السليمة فضلا عن الأدلة الشرعية - وقد أودع أمهات كتب الفقه، كما في قول ابن قدامة: «ولو خرج رجل على الإمام، فقهره، وغلب الناس بسيفه، حتى أقروا له، وأذعنوا بطاعته، وبايعوه، صار إماما يحرم قتاله، والخروج عليه؛ فإن عبد الملك ابن مروان، خرج على ابن الزبير، فقتله، واستولى على البلاد وأهلها، حتى بايعوه طوعا وكرها، فصار إماما يحرم الخروج عليه»<sup>(١)</sup>، ثم قال: «ويدخل الخارج عليه في عموم قوله ﷺ: «من خرج على أمتي، وهم جميع؛ فاضربوا عنقه بالسيف، كائناً من كان»<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق لي أن تعقبت ما في كلامهم من التناقض في كتابي الاستبداد<sup>(٣)</sup>، وإليكم بنصه وفصه:

(١) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، (ت: ٦٢٠هـ)، ج ٩ ص ٥ دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المؤلف: الاستبداد مظاهره ومواجهته، ٩٨ - ١٠٢

«وأنت ترى ما في هذا الحكم من الاضطراب، فهم مع كونهم يحرمون خروج أحد عن طاعة الظالم الجائر المبدل لحكم الله الناكث لعهد، يرون أن لو خرج أحد باغيا ظالما على إمام شرعي، حتى تمكن منه، فأباده واستحل بيضته؛ كان هو الإمام الشرعي الذي تجب له الطاعة ويحرم الخروج عليه، مع أنه بنفسه توصل إلى الإمامة بالخروج على من قبله!!

فليت شعري؛ كيف يكون البغي والظلم وسيلة إلى حق، وطريقا إلى استحقاق الطاعة؟! وحسبك من هذا النص الفقهي، أن يجعل من تصرف عبدالملك بن مروان الباغي الطاغية، مصدرا للتشريع، وأصلا لحكم يرتبط به مصير الأمة، متجاهلين في ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وقول النبي ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد»<sup>(١)</sup>،

(١) أخرجه الربيع (ص ٣٩ رقم: ٤٩)، وأحمد (١٤٦/٦، رقم ٢٥١٧١)، ومسلم (١٣٤٣/٣، رقم ١٧١٨)، وأبو عوانة (١٧١/٤، رقم ٦٤٠٩)، والدارقطني (٢٢٧/٤).

وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا، ما ليس منه، فهو رد»<sup>(١)</sup>، وكيف تكون الفتنة والظلم والبغي من أمر الله أو رسوله، وقد بين لنا الله سبحانه ما يأمر به وينهى عنه، في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ونزه نفسه عن الأمر بالفحشاء في قوله: ﴿قُلْ إِنَّا أَلَّهِ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقد تبين لك فساد هذا الرأي، نظرا لما فيه من التناقض الفاضح والاضطراب البين، وإذا جئنا إلى الأثر، فإننا نجد أن بينه وبين المأثور عن السلف الصالح بعد المشرقين، فهو أبعد عنه من بعد الثريا عن الثرى، والعرش عن الفرش، فعن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما: «اعقل عني ثلاثا: الإمارة شورى... إلخ»<sup>(٢)</sup>، وقال رضي الله عنه: «مَنْ بايع رجلا، عن

(١) أخرجه أحمد (١٥٧/٤٣) رقم: (٢٦٠٣٣) والبخاري (١٨٤/٣) رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم (١٣٤٣/٣) رقم: (١٧١٨)، وابن ماجه (٧/١) رقم: (١٤)، وابن حبان (٢٠٨/١) رقم: (٢٦)، والبيهقي (٢٠٤/١٠) رقم: (٢٠٣٧١)، والدارقطني (٤٠٢/٥) رقم: (٤٥٣٤).

(٢) أخرجه عبدالرزاق (٢٧٧/٧) رقم (١٣١٥٥)، وأبو عبيد في الأموال (ص ١٧٨) رقم: (٣٦١).

غير مشورة من المسلمين؛ فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه،  
**تغرة أن يقتلا»<sup>(١)</sup>**، وقد قال ذلك في خطبة خطبها بين  
 المهاجرين والأنصار، قال الدكتور حاكم المطيري: «وهذه  
 الخطبة من أشهر خطب عمر وأصحابها، وقد كانت بمحضر  
 الصحابة رضي الله عنهم، فكان إجماعاً منهم على أن حق اختيار  
 الإمام هو للأمة، وأنه يحرم غضبها هذا الحق، وأن من يبايع  
 رجلاً دون شورى المسلمين، فقد عرض نفسه للقتل»<sup>(٢)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه لل ستة: «فمن تأمر منكم، على غير  
 مشورة من المسلمين؛ فاضربوا عنقه»<sup>(٣)</sup>، وخطب الناس  
 إبان رجوعه من الحج بالمدينة المنورة، فكان مما قاله  
 في خطبته: «إنه لا خلافة إلا عن مشورة»<sup>(٤)</sup>، وقال  
 عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد أن استشار المسلمين فيمن  
 يختارونه خليفة عليهم، حتى النساء في خدورهن:

(١) أخرجه البخاري (١٦٨/٨) رقم: (٦٨٣٠) والبخاري (٣٠٢/١) رقم: (١٩٤).

(٢) الحرية أو الطوفان، دراسة موضوعية للخطاب السياسي الشرعي  
 ومراحلها التاريخية، بقلم د. حاكم المطيري، ص ٣١، سنة النشر ٢٠٠٣م.

(٣) الطبقات الكبرى، ج ٣ ص ٣٤٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، (٤٣١/٧) رقم: (٣٧٠٤٢)، والنسائي (٢٧٣/٤) رقم:

«يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً»<sup>(١)</sup>.

وقال الطبري: «حدثني جعفر بن عبدالله المحمدي، قال: حدثنا عمرو بن حماد وعلي ابن حسين، قالا حدثنا حسين، عن أبيه، عن عبدالملك بن أبي سليمان الفزاري، عن سالم ابن أبي الجعد الأشجعي، عن محمد بن الحنفية، قال: كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله، فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله، ما نحن بفاعلين، حتى نبايعك، قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال: سالم ابن أبي الجعد، فقال عبدالله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد، مخافة أن يشغب عليه، وأبى هو إلا المسجد فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٧٨/٩ رقم: ٧٢٠٧) والبيهقي في الاعتقاد، ص ٣٦٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٦٩٦، المنتظم ج ٥، ص ٦٣، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٦.

وقال الطبري أيضا: «حدثني جعفر قال: حدثنا عمرو وعلي، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العابدي، قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليا، فقالوا: يا أبا حسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختروا والله، فقالوا: ما نختار غيرك، قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضي الله عنه مرارا، ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر، فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إلي وأتيتم، وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه، قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: إني كنت كارها لأمركم، فأبيت إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك، قال أبو بشير: وأنا يومئذ عند منبر رسول الله، قائم أسمع ما يقول»<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٩٦ - ٦٩٧.

وقد بلغ تشدد ابنه الحسن عليه أنه كان لا يرى أن يبايع، حتى يأتيه أهل الأمصار جميعا فيبايعوه، وقد اعتذر إليه، بأن قبوله بيعتهم قبل مجيء أهل الأمصار إنما كان خشية أن يضيع الأمر»<sup>(١)</sup>.

هذا هو نهج السلف الصالح، وأين هو مما أقره من بعدهم من أخذ الحكم عنوة، من غير مشورة من أحد؟!.

على أن هؤلاء لم يكتفوا بنقض منهج السلف، وحل عرى الإسلام في أمر الحكم، بل جاوزوا ذلك، فجعلوا طاعة الظالم من طاعة الله سبحانه!!، وغلوا حتى جعلوا طاعته أعظم من طاعة الله، كما روي عن الحجاج أنه قال: «طاعتنا أوجب من طاعة الله؛ لأنه شرط في طاعته، فقال: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وأطلق في طاعتنا، فقال: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]»<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ج ٣ ص ١١، وينظر: الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي الأسدي، (ت: ٢٠٠هـ)، ص ١٢٠، دار النفائس، بيروت، ١٣٩١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد راتب عرموش.

(٢) الكشف، ج ٤، ص ٩٧، وينظر: تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، ج ٣، ص ٣٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤١٩.

ولم يكن ذلك أمرا نظريا، وإنما كان منهجا تطبيقيا ساروا عليه، كما علمت من قصة خالد ابن عبد الله القسري، الذي أعلن في خطبته أنه لو أمره عبد الملك بهدم الكعبة البيت الحرام لنقضها حجرا حجرا، ومعنى ذلك أنه لا يبالي بسخط الله تعالى، إن رضي عنه سيده عبد الملك!..»

وكم سمعنا من عجائب مجتهد ألسنة أدعياء العلوم مبنية على هذا الأساس المنهار، والله الأمر! وإذا كان ذلك في العهود السابقة بلغ أقصى ما يتصور من الضلالة، فإن كل عصر يأتي تضاف إليه عجائب أخرى، وكم سمعنا في هذا العصر من أقوال تبجح بها حناجر الذين يدعون العلم حتى جعلوا من الأباطيل حقا مبينا، ومن الحق باطلا زهوقا في دعوتهم المأفونة، حتى تجاوزوا بما أتوا به ما وجدوه عندهم مأثورا.

وكان من أعجب ما طرق أذني من ذلك مقطع صوتي سمعته حوارا بين رجلين يجمعهما قطر واحد، سأل أحدهما الآخر: لو أمرك فلان - يعني به من يعتقد ذلك ولي أمره - أن تترك دينك أكنت تاركه؟ فرد عليه بكل بجاجة «سأتركه»، فقال له: أرايت أن دخل النار أكنت

داخلها معه؟! فرد عليه: «نعم، سأدخلها معه»، ولم يتردد في ذلك، فيا ترى أي ضلالة هي أقبح من هذه الضلالة! إذ يجعل هذا مصيره مصير من يواليه ولو إلى نار الجحيم - والعياذ بالله -.

وكفى أن يبيع امرؤ دنياه وآخرته في هوى من ارتضاه ولي أمر له، وأن لا يبالي بسخط الله تعالى وعذابه الذي لا يطاق لأجل الإبانة عن موالاته للطاغوت ونبذه للإسلام، فالله المستعان.

وهذا كله يرجع إلى ذلك الانحراف التاريخي الذي رزئت به هذه الأمة في فكرها وتصوراتها وفي دينها وسياستها، فاللهم أسألك الثبات على الحق والحفظ من الزلل والوقاية من الزيغ، وإني لأبرأ إليك يا الله من جميع هذه الضلالات ومن أصلها الذي نشأت عنه، وأبرأ إليك من كل من سوغها.

وأنشد هذه الأمة أن تفكر في أمرها وأن تُحكّم في دينها وعقيدتها كتاب الله المبين وسنة نبيه الأمين عليه الصلاة والتسليم، مع تجريدتهما من كل ضلالات الزائعين وتحريفات المبطلين وتأويلات الجاهلين، فقد أصبح لزاما

أن تقام حجة الله تعالى على الناس لعل منهم من يستبين  
الرشد من الغي ويعود إلى الحق ويهتدي إلى الصراط  
المستقيم، ويخلص نفسه من كل ما علق بها من هذه  
الأفكار العفنة والأقاويل الباطلة، والله المستعان.

اللهم هَيِّئْ لهذه الأمة من أمرها رشداً؛ حتى تعود إلى  
المنهج السليم الذي أودعته كتابك وبينه رسولك ﷺ،  
ودرج عليه الراشدون من بعده والمستمسكون بعروة الحق  
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، إنه لا يهدي إلى الحق  
غيرك، ولا يخلص من الضلال سواك، وصل اللهم وسلم  
وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه وحزبه  
إلى يوم الدين.

أحمد بن محمد الخليفي

مسقط: ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ



alkaleemaaltayba.om

91700747